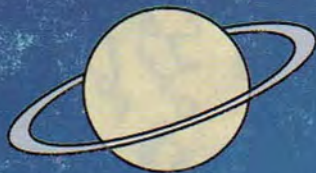


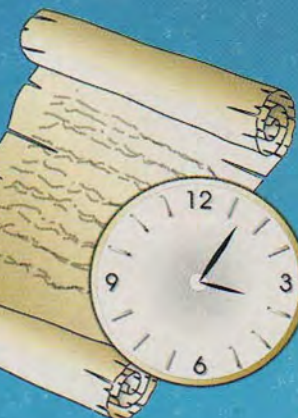
أعلام العلماء العرب



منتدى اقرأ الثقافي

WWW.IQRA.AHLAMONTADA.COM

ابن النفيس مكتشف الدروة الدموية



بۆدابه زاندىنى جۆرمه كىتېب: سەردانى: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

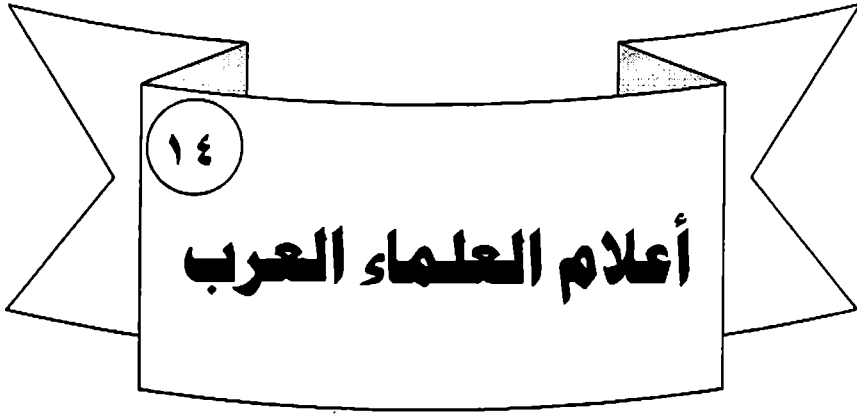
پەراي دانلود كىتاپهاى مختلف مەراجعه: (منتدى اقرا الثقافى)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى ، عربى ، فارسى)



ابن النفيس
مكتشف الدورة الدموية

جمع وإعداده
لجنة الدراسات والتأليف في دار الحياة

دار الحياة
حلب - سورية

جميع الحقوق محفوظة

منشورات

دار الحياة

سورية - حلب - شارع أقيول

هاتف: ٣٦٣٢٤٤١ - فاكس: ٣٦٣٩٢٧٨

ص.ب.: ١٠٥٨٠

تطلب جميع منشوراتنا من:

مكتبة التمامية بدمشق

سورية - حلب - شارع أقيول

هاتف: ٣٦٣٩١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن النفيس

قلت لولدي: هل أتاك نبأ النُّطَاسِيَّ الهمام، والطبيب الإمام، الذي سبق أطباء الدول الغربية، إلى اكتشاف الدورة الدموية ؟ .

قال: كلا يا أبي، ولكن أين عاش هذا الطبيب، الذكي البارع اللبيب ؟ فأني أجدني مشدوداً إلى حكمته ، ومثلهفاً إلى معرفة سيرته .

قلت: كان درة دهره، ورئيساً لأطباء عصره، لقبه (ابن النفيس)، واسمه (علي بن أبي الحزم القرشي) وكنيته أبو الحسن، ولد في مدينة دمشق سنة ٦٠٧/هـ، ١٢١٠/م أيام

الملك (العادل) الأيوبي، تتلمذ على يد أستاذه الشهير (مذهب الدين عبد الرحيم الدخوار) رئيس أطباء الديار الشامية والمصرية، خلال حكم الأسرة الأيوبية .

درس (ابن النفيس) الطب في دمشق، فلمع اسمه وذاع، حتى اخترق الأصقاع، ثم قرر الانتقال إلى مصر، وعمل طبيباً في المستشفى الناصري ، ثم المستشفى المنصوري ، ثم صار رئيساً للأطباء .

ومما قيل عنه: ((إنه لم يكن في الطب على وجه الأرض مثله في زمانه، ولا جاء بعد ابن سينا مثله)) - عن الموسوعة الإسلامية الميسرة .

كان (ابن النفيس) شغوفاً بالقراءة، ولوعاً بالمطالعة، ولاسيما ما كان منها في مجال اختصاصه، فقد كان الطب يستهويه، وكل ما كتب فيه يغريه، فيقبل عليه إقبالاً شديداً، ثم يطلب منه مزيداً، وقد أدى ذلك إلى نمو عقله، وتفتح ذهنه، واتساع أفقه، فمال إلى التصنيف، وعكف على التأليف، وكان للوقت عنده حساب، لم يخطر ببال أولي الألباب، فكانت تبرى له الأقلام كيلا يضيع وقته في بريها،

وتجهز بالحبر إذا فرغت من حبرها، فالوقت مخصص لديه
للقراءة أو الكتابة، ولا عجب — في هذا — ولا غرابة .

أولئك قوم عرفوا قدر العلم، فأعلى قدرهم، وأخلصوا له،
فرفع ذكرهم، فجاءت إليهم الشهرة ساعية، فهلا تأسّى بهم
ذو أذن واعية ! .

قال ولدي: هل كان (ابن النفيس) موهوباً ؟ أم أن ذكلاءه
هو الذي بلغ به المكانة التي بلغها من العلم والعرفان ؟

قلت: لا شك في موهبته أبداً يا بني، ولا ريب في
ذكائه، ولكن الموهبة وحدها لا تكفي لتفتح العبقرية، إن
الموهبة تحتاج إلى صقل وصبر وجلد على المطالعة كبير،
عندها تتفتح أكامها عن العبقرية المستخفية، ويسطع نورها
عبر الآفاق، حتى يضيء لكل من تحت السماء .

بدأ (ابن النفيس) الظامئ بورود الينابيع — أي: العلماء الكبار —
كي يطفئ لهيب ظمئه، فقرأ ما صنفه (جالينوس)،
و(أبقراط) من علماء اليونان، ونهل من كتاب (القانون)
للشيخ الرئيس (ابن سينا)، وأتبعها بكتاب (الحاوي) لأبي
بكر الرازي، هذا من جهة الكتب التي قرأها .

وأما من جهة شيوخ الطب الذين لقيهم وسمع منهم، فهم
كثير كان بينهم: أستاذة (الدخوار)، و (رضي الدين
الرحبي)، وهو أستاذ (الدخوار)، و (عمران الإسرائيلي)،
وقد وجد عندهم شفاء لظمئه ونقعا لغلته، وما كان (ابن
النفيس) لينسى فضل (البيمارستان النوري) بدمشق عليه
يوم تعرف فيه على أستاذة (الدخوار) لأول مرة، وهو
صفر اليدين من كل ما يمت إلى الطب بصلة .

ولما دخل المستشفى الناصري في القاهرة الذي أنشأه
(صلاح الدين الأيوبي) بدأ نجمه يسطع كطبيب متميز على
أقرانه، متقد الذهن، سريع البديهة، لمّاح، لا يحتاج فيما
يسمع إلى شرح وإيضاح، وهذا سبب تفوقه على أقرانه،
وذيوع صيته أكثر من إخوانه، ولكن الحكمة — يا بني —
من مَنّ العليم العلّام، يؤتيها من يشاء من ذوي الأفهام،
أمثال (ابن النفيس) .

وكان العلماء في القاهرة — حاضرة العلوم — لا يكتفون
بدراسة علم واحد، بل كانت مشاربهم متعددة، لذلك دخل
(ابن النفيس) إلى المدرسة المسروورية لينهل من بحر (محمد
ابن إدريس الشافعي) رحمه الله وأجزل له المثوبة، ولم يكن

(ابن النفيس) أقل تفوقاً في الفقه منه في الطب، وهذا حال العباقرة من العلماء، وقليل ما هم .

وامتدت إقامة (ابن النفيس) على أرض (مصر) أقل من أربعين سنة بقليل من الشهور والأيام، وعزَّ عليه أن يصحو ذات يوم ليراها تتعرض لهجمة وباء فتاك حلَّ بأرضها، فرأى الوفاء يدعوه، لأن يتصدى لهذا المرض الخبيث، ويبذل ما عنده من جهد لدفعه عنها، وعاش (ابن النفيس) فترة عصيبة، ففي كل يوم يزيد عدد الضحايا من النساء والرجال والأطفال، وهو في سعي دؤوب وكفاح مُطردٍ يجرب العقاقير واحداً بعد الآخر، وبعد قرابة ستة أشهر، قهر العبقري ذلك المرض، ثم قضى عليه بصبره وجلده، ونظر أهل مصر إلى (ابن النفيس) - حاكمين ومحكومين - بالتبجلة والاحترام، وأكرموا أيَّما إكرام، وخلعوا عليه لقب (المصري)، وضحكت له الأيام، وبات من مشاهير الأعلام،

وبنى له قصراً فخماً يليق بقصاده من الأمراء والأعيان، وأهل السلطان، والعلماء الأجلاء، وكبار الفقهاء والأدباء،

ومشاهير الأطباء، وذلك لنشر العلم والرشاد، بين جميع العباد .

وكان (ابن النفيس) يؤلف ويصنف في قصره، وإذا وضع القلم على الورق لم يتوقف حتى يستنفذ الموضوع الذي يكتب عنه، أو تتعب يده، فينهض، ثم يدخل الحمام ليغتسل، وربما خرج من الحمام قبل أن يكمل غسله، ليستكمل فكرة كان يعالجها، أو فقرة كان يشرحها، فإذا أتم ما خرج له، عاد إلى الحمام، وكثيراً ما نسي أن يأكل ما أعد له من الطعام، أو يشرب ما أمامه من الشراب، وهو جائع ظمآن، إنه يريد إفراغ ما يعتلج في صدره على الأوراق، على الرغم من حاجته إلى ما في الأطباق، ويشعر الخادم بالاشفاق لحاله، ولا يجرؤ على قطعه عن أعماله .

قال: ألم تتخلل حياته بعض الطرائف يا أبي ؟

قلت: بلى يا بني، كان له صديق عطار، وكان يحلو له أن يمر على دكانه، طلباً للراحة بعض الوقت من عناء الكتابة .

وكان الناس إذا رأوا (ابن النفيس) عند صاحبه العطار، يسرعون إليه ليسألوه عن آلامهم وأوجاعهم، حتى يصف لهم ما يزيلها عنهم، ولم يكن يبخل عليهم بما يرجون، فينصرفون عنه وهم مسرورون، وكان تصرفه يثير غضب العطار، فيقول: له بانتهار: لم لا تصف لهم بضاعتي، حتى تتفق سلعتي؟ ويضحك (ابن النفيس) من سداخته، وكان شفاء المرضى مرهون ببضاعته .

وربما قال (ابن النفيس) لمرريضه: سل غيري، فإني عاجز عن إفادتك، ولا أجد علاجاً لمثل حالتك، وهذا جواب طبيب شجاع، يأنف من الغش والخداع، والسخريه من الأوجاع، لأن الأمراض لا تحتل المزاح، ولا يجوز اللعب بالأرواح، لا سيما من طبيب محترم، مشهود له بالفضل والكرم .

قال: ألم يجد (ابن النفيس) فيما قرأ من مصنفات العلماء، شيئاً يخالف ما لديه من الآراء، وماذا صنع حيال ذلك؟

قلت: بلى يا بني، لقد وجد، فكل إنسان غير رسول الله ﷺ قد يخطئ ويجانبه الصواب، ألم تسمع قول الله تعالى في محكم تنزيله ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف الآية ٧٦ .

لقد نقد (جالينوس) الطبيب الإغريقي الشهير، ونقد الشيخ الرئيس (ابن سينا)، ولم يحل نقده لهما دون شرحه لمصنفاتهما، وقيامه بنشرهما بين الناس، وذلك لأن (ابن النفيس) كان يعتمد أسلوب النقد البناء، البعيد عن الرياء والمراء، وكان هدفه دفع الأوهام عن الحقيقة الغراء التي ينأى عنها من يدَّعون أنهم علماء، وما أعظم البؤس بين هؤلاء وهؤلاء ! وويل للمرائين من رب الأرض والسماء!.

قال: ليتك تحدثني عن إنجازات (ابن النفيس) ومؤلفاته، التي وضعها في حياته يا أبي ! .

قلت: ترك (ابن النفيس) العديد من المنجزات، وألف كثيراً من المؤلفات، كما شرح كتباً ومصنفات لغيره من العلماء، فوضع (شرح فصول أبقراط)، و (شرح تشريح ابن سينا)، وفي هذا الشرح عارض ما قاله الشيخ الرئيس وجالينوس) حول علم التشريح، وبيّن أن ثمة اختلافاً في الأعضاء بين الحيوانات، وتحدث عن تشريح العظام والمفاصل، والرئة، والقلب، والشرابيين، والحجاب، والعروق الصغيرة، وتحدث عن فوائد التشريح، ويبدو أنه

مارسه بيده خلسةً على جثث الموتى، لأن القوانين التي كانت في زمانه لا تسمح بمثل هذا العمل .

ومما يؤكد ممارسته للتشريح تكراره لعبارة ((والتشريح يكذب هذا ..)) وذلك في معرض ردوده على الشيخ الرئيس (ابن سينا) .

وأراد منافسة (أبي بكر الرازي) في موسوعته المسماة (الحاوي في الطب)، فقرر وضع موسوعة كبيرة تتألف من ثلاثمائة جزء سماها (الشامل في الطب) لكن الأجل وافاه بعد إنجاز ثمانين جزءاً منها .

وكان قد وضع موجزاً لها سماه (الموجز في الطب) .

وفي مجال الفلسفة صنف (الرسالة الكاملة في السيرة النبوية)، وهي شديدة الشبه برسالة (حي بن يقظان) .

كما ترك كتاباً يدعى (طريق الفصاحة)، و (شرح كتب التنبية في فروع الشافعية) ويضم الفقه الشافعي .

ولكن الإنجاز الهام والكبير الذي انفرد به (ابن النفيس) هو اكتشافه للدورة الدموية الصغرى، الذي لم يسبقه إليه

أحد من علماء الطب، وتسمى اليوم الدورة الرئوية، وكانت المعلومات حول الدورة الدموية متباينة على تعاقب الأزمان، وفيما يلي عرض لهاتيك الآراء جميعها:

١- قال الفراعنة: ينتقل الدم من القلب إلى الجسم بواسطة الأوعية الدموية والقنوات والأوتار من خلال حركة النبض .

٢- وقال جالينوس: يتم توزيع الدم من القلب إلى الجسم عبر الشرايين نفسها، في حركة مدّ وجزر، وأخذ (ابن سينا) بهذه النظرية .

٣- قال أبقراط: الكبـد أصل حركة الدم الذي يصل إليه من الأمعاء بواسطة الوريد البابي، ثم ينتقل عن طريق الوريد الأجوف، إلى البطن الأيمن، ومنه إلى بقية الجسم بواسطة الأوردة، وفي حركة مد وجزر متصلة ليس لها دورة .

٤- عاد أطباء مدرسة الإسكندرية، إلى التعاليم الطبية المصرية القديمة .

وقد صحح (ابن النفيس) في شرحه لتشريح ابن سينا، هذه الآراء فقال: إن تجاوزيف القلب اثنان لا ثلاثة كما قال (ابن سينا) ومن سبقه، وأضاف أن الدم يتجه من التجويف الأيمن إلى الرئة، ويختلط بالهواء بها، ثم يرجع إلى الرئة عن طريق الشريان الوريدي إلى التجويف الأيسر بالقلب، ثم يوزع منه إلى سائر الجسم، وهذا يعني أن دورة الدم تتم بين القلب والرئة، وبين الرئة والقلب، وبذلك يكون (ابن النفيس) قد وضع أساس الدورة الدموية الصغرى .

قال: وما الذي فعله علماء أوروبة حيال كشف (ابن النفيس) الهام هذا يا أبي ؟

قلت: تم اكتشاف (ابن نفيس) للدورة الدموية الصغرى في القرن الثالث عشر الميلادي، وحتى نهاية القرن الخامس عشر لم يصل أحد من علماء جامعة (بادوا) الإيطالية إلى مثل هذا الكشف، لكنهم في منتصف القرن السادس عشر ميلادي بدؤوا يتحدثون عن الدورة الدموية الصغرى، حيث نشر الطبيب الإيطالي (الباجو) أجزاء من (شرح تشريح ابن سينا) لابن نفيس، وبعد ست سنوات قام

ثلاثة أطباء إيطاليان وإسباني من جامعة (بادوا) بنشر ثلاثة مؤلفات عن الدورة الدموية الصغرى .

وفي القرن السابع عشر الميلادي أصدر الإنكليزي (وليم هارفي) كتابا في التشريح تحدث فيه عن الدورة الدموية الكاملة (الصغرى والكبرى)، وكان أحد خريجي جامعة (بادوا)، ولم يشر في كتابه إلى أي مصدر عربي أو إيطالي، فظن علماء الطب في العالم أن (هارفي) هو المكتشف، متجاهلين (ابن النفيس)، وما قاله علماء جامعة (بادوا) السابقون، وظل الأمر على هذا الحال حتى العقد الثالث من القرن العشرين حين تقدم في عام ١٩٢٤ طبيب مصري يدعى (محي الدين التطاوي) برسالة لنيل الدكتوراه من جامعة (فرايبورغ) بألمانيا ، وأعلن وجود مخطوط لديه يتضمن شرح (ابن نفيس) لتشريح ابن سينا مما يدل على أن (ابن النفيس) أول مكتشف للدورة الدموية الصغرى وذلك في القرن الثالث عشر، أي قبل (هارفي) الإنكليزي بأربعة قرون .

وصعق أساتذة (التطاوي) والمشفون عليه الألمان، ولما كانوا يجهلون اللغة العربية التي كتب بها مخطوط (ابن

النفيس لم يصدقوه بادئ ذي بدء، وبعثوا بنسخة من رسالته إلى المستشرق الألماني الدكتور (مايرهوف) المقيم بالقاهرة آنذ ليدلي برأيه فيما يقول (التطاوي) وكم كانت دهشتهم عظيمة حين أكد (مايرهوف) صحة معلومات رسالة (التطاوي) !، ولم يكتفِ (مايرهوف) بذلك بل أبرق إلى المؤرخ (جورج سارتون) لينشر الخبر في الجزء الأخير من مصنفه الضخم عن تاريخ العلوم، وظهرت الحقيقة كالشمس في رابعة النهار، وانكشفت زيوف الحاقدين على الإسلام والعرب، وافتضحت أكاذيبهم على مرأى من العالم.

ولما أمر السلطان (قلاوون) ببناء (البيمارستان المنصوري) كلف (ابن النفيس) بالإشراف على بنائه وتجهيزه بجميع أقسامه، وحين تم ذلك، عينه السلطان رئيساً له .

كان أطباء المستشفى المنصوري، والعاملون جميعاً في ذلك المستشفى يشيدون بحسن إدارته، وعظيم كفاءته، وكانوا مسرورين إلى أبعد حد بالعمل تحت إمرته .

كان (ابن النفيس) واثقاً بنفسه إلى أقصى ما يكون، ولما قيل له: إنك لتفرط في التأليف، رد على القائلين بحزم بلاد: لو لم أكن على ثقة من أن تصانيفي ستبقى بعدي عشرة آلاف سنة، لم أكتب فيها حرفاً واحداً .

وكان (ابن النفيس) قد صنف كتاباً سماه (فاضل بن ناطق) أراد به معارضة (ابن سينا) في كتابه (حي بن يقظان) .

و ذات ليلة، جلس يقرأ فيه، فشعر أن قواه بدأت تخور، وأن قدميه لا تقويان على حمله، فكتب وصيته، ثم تحامل على نفسه، حتى بلغ سريره، فاستلقى عليه، ثم أغمض عينيه، وفارق الحياة سنة ٦٨٧/هـ، ١٢٨٨/م، رحمه الله .



المراجع: الموسوعة الإسلامية الميسرة، الموسوعة العربية الميسرة .

أعلام العلماء العرب

- ١ — الكندي فيلسوف العرب .
- ٢ — الخوارزمي أبو الرياضيات .
- ٣ — الرازي المتعدد المواهب .
- ٤ — البيروني نابغة الزمان .
- ٥ — جابر بن حيان أبو الكيمياء .
- ٦ — ابن الهيثم عالم الرياضيات .
- ٧ — ابن سينا الفيلسوف الطبيب .
- ٨ — ابن يونس الفلكي .
- ٩ — بنو زُهر العلماء الأربعة .
- ١٠ — الشريف الإدريسي الجغرافي الكبير .
- ١١ — الفيلسوف ابن رشد .
- ١٢ — أبو الفتح الحازن .
- ١٣ — ابن البيطار الطبيب الأمهر .
- ١٤ — ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية .
- ١٥ — الإمام القزويني .
- ١٦ — كمال الدين الدميري .

تطلب منشوراتنا من مكتبة

أسامة بن زيد

حلب - أقيول - هاتف : ٣٦٣٩١٤٠